# حصان فلسطينيّ أحمر

□ أحمد الخميسي

(قصة)

بالأمس رأيتُ بين الحقول حصانًا أحمر، فظننتُ أنه حلمٌ لأنه لم يسبقْ لأحد أنْ شاهد حصانًا بهذا اللون، ولم يأتِ ذكرُ شيءٍ كهذا من قبل. كان يشْبه بقعةً حمراءَ كبيرةً في الأفق الشاحب، وتمنّيتُ لو أنني رَمَحْتُ في الخلاء الواسع بحصانٍ كهذا.

خطوتُ بحذرٍ شديدٍ نحوه، لكنني ما إنْ تحرّكتُ حتى رفع قائمتيْه الأماميتيْن عاليًا، متراجعًا، ملفوفًا بهالةٍ حمراءَ خفيفة. تجمّدتُ مكاني، فعاد إلى وقفته، ومال برأسه على الأرض يَلُوك أعشابًا حمراء، ثم عَطَفَ رقبتَه نحوي قليلاً ليريَني عينيْن واسعتيْن مثلَ فنجانيْن ممتلئيْن بالدم. فأطلقتُ ساقيَّ للريح عائدًا إلى مشارف القرية، وقلبي يدقّ بقوة.

حين رويْتُ لجدّتي في المساء ما رأيتُه، وأنني تمنّيتُ لو أنّ لي حصانًا كهذا، حَكَتْ لي حكايتَه. قالت إنّ الخيل أحسّت ذاتَ يوم بأنها مهدَّدة بالزوال، فتوافدتْ من كلّ بقاع الأرض إلى غابةٍ معزولة، واتّفقتْ على أنها بحاجة إلى حصانٍ نادرِ التكوين، يُلْهم الخيلَ كلَّها الشجاعةَ والصبرَ في الدفاع عن وجودها. وأضاف حصانُ الحكمة العجوز: «لا بدّ أن يكون أحمرَ ليصبح مرئيّاً في أيّ مكانٍ أو زمان.» وقال حصانُ الخبرة: «لكنّ حصانًا كهذا بحاجة إلى بحيْراتٍ من الدم عامًا بعد عام، يغطّيه من قوائمه حتى عرْفه، ليبقى لونُه ثابتًا في جلده.» وقالت فرسٌ ولّادة: «لا بدّ من أن يولدَ في حريقٍ يلقّنه الثباتَ في اللهب بلا فزع.» وقالت فرسٌ مرْضِعة: «لا بدّ، إذن، من أن يأكل أعشابًا حمراءَ، ويشرب ماءً أحمرَ، ويَلْعق ظلالَ الحرائق الحمراء من فوق الأرض الساخنة؛ فعندئذ لن يمحوَ لونَه شيء.» وغمغم الحصانُ الشاعرُ: «سيكون وحيدًا، فردًا، لا مهرة له ولا ولد. لكنه إذا صَهَلَ من أعالي الجبال، أيقظَ في الخيلِ كلِّها محبّةَ الريح والحريّة!»

تلك الليلة كانت باردةً، فالتصقتُ بجدّتي التي فركتْ يديْها فوق الحطب المتّقد، والظلالُ تتأرجح على وجهها. ثم أكملتْ:

ولم تكن هناك في العالم أرضٌ مثلُ غزّة تجري فيها الدماءُ بهذه الوفرة. وفيها وُلِدَ المهْر، وشبّ. إذا خبا بين البيوت والدكاكين في أزقّتها المبلّطة، تشبّعتْ قوائمُه بالدم؛ وإنْ ركض إلى الميادين المفتوحة، غطّت صدرَه ورقبتَه الدماءُ من ورش العمّال وأفرانِ الخبز؛ وحين يَرْمَحُ بعيدًا هاربًا إلى الحقول، يغْمره الأفقُ بالدم. وأصبح المهرُ حصانًا فردًا، وخرجت الخيلُ كلُّها تشقّ طريقَها إليه: من بحر البقر، وشبعا، وصبرا، وشاتيلا، ورام الله، والجولان. خيولٌ من كلّ الأزمنة، تَخْمش الأرضَ بقوائمها أمام الحصان الأحمر، تتململ، تميل برقابها، وترجع على مهل.

وتابعتْ جدّتي:

الكثيرون مثلكَ يروْن ذلك الحصانَ بعيدًا متوهّجًا، ويتمنّوْن لو كان لديهم مثله. لكنّ أحدًا لا يفكّر كم أنهكه قدَرُه الذي كُتِبَ عليه أن يكون نادرًا، ووحيدًا، وأن يتحمّلَ في سبيل ذلك ألمًا فوق طاقة الخيل كلّها. فإذا تمكّنتَ من امتطاء صهوته، فسترى العالمَ كلَّه باللون الأحمر: الأشجار الخضراء، قطراتُ المطر، أثوابُ الزفاف البيضاء... كلّها تصبح حمراء.

سألتُ جدّتي بلهفة: ألا يزول عذابُه؟

قالت: ربّما يعود إلى لون الخيول الأخرى إذا استراح من لون الحريق.

قلتُ: وسيكون جميلاً كما أراه الآن؟

لزمتْ جدّتي الصمتَ لحظةً ثم قالت: تأخّر الوقتُ وحان موعدُ النوم.

**القاهرة**

**أحمد الخميسي**

كاتب مصريّ ومراسل الآداب في القاهرة.